



انتفاضة الأقصى ونحياز الموقف الأميركي

بقلم الدكتور هشام مزارح

الاسرائيليين بحتم من ترويع وارهاب. وفي هذا الصدد، لم تكف الولايات المتحدة بوضع اللوم على الضحية وإعتاق الجلال، ولما اتخذت مواقف متساهلة من خلالها الضوء الأخضر للمحتل الاسرائيلي لكي يصفد حريته على الفلسطينيين وارضهم. وهذه الخطرات لم تقتصر على مد الاسرائيليين بالذم العسكري والديني والمعنوي، وانما شملت ايضا تحميل الفلسطينيين مسؤولية قتل الفاضلات الحارثية في الوصول الى تسوية سلمية للصراع، وعرقلة المحاولات الدبلوماسية خلال هذه الامة المتحدة بالتحديد لتوفير الحماية اللازمة للفلسطينيين العزل الذين تقع مصير القتل والدمار يوميا من قبل الاسرائيليين دون رادع. واتخاذ الولايات المتحدة قرار القيتو في مجلس الامن مؤخر الحيلولة دون ارسال قوات حماية دولية الى الاراضي الفلسطينية. يمثل القشة التي تقصم ظهر البعير فيما يتعلق بالوهم كمال امكانية الحد الولايات المتحدة دور الوسيط النزيه في الصراع او في التسوية

وعلى صعيد اخر، فان الاستراتيجية الاميركية تبدو وكأنها تألقت محاسنها بان استطاعت ثني اصدقائها واتباعها في العالم العربي عن تقديم اي دعم ملموس للشعب الفلسطيني خاصة اثناء انتفاضة على الاحتلال الاسرائيلي فلا عجب اذا ان تصدر الولايات المتحدة قرار القيتو في مجلس الامن وصحة اعتقاد مؤتمر قمة عربية، ضامنة رد فعل يكاد لا ينبس بنبذ شقة من ثاجحة وجاعلة امكانية استمرار اسرائيل في حربها على الشعب الفلسطيني امرا محتملا ولا عرابه في ان تقوم الولايات المتحدة بمعاقبة العراق باستمرار في تصفه لشذوذه عن القاعدة بتقديمه الدعم للمعوس لانتفاضة الأقصى رغم كل ما يواجهه من نكبات حقيقية بسبب ما يفرض عليه من حصار وما يشين صده من عدوان وخلصه القول، فان الموقف الاميركي من انتفاضة الأقصى يشكل امتدادا فعليا لا تصموره الولايات المتحدة من مواقف وسياسات مسبقة بخصوص الصراع الفلسطيني الاسرائيلي، حيث يفترض بان الدم الاسرائيلي يستقر العصب والاستنكار وعبارات الشتم ومختلف انواع الاتهامات ضد الفلسطينيين. واما الفلسطينيين فهم الذين تقع على عاتقهم مسؤولية ارتفاع وتيرة (الغضب) القتال في القصف البري والجوي والبحري الاسرائيلي للمناطق الفلسطينية المتنازع فيمنما اسرائيل تحصل راية العداة للشعب الفلسطيني جهارة وبمباشرة فان الولايات المتحدة تحاول ان تبقى من خلف حجاب رغم انقول ما تعمل على الاختباء وراءه من اقنعة.

ترتيب انعقاد مؤتمر مدريد للسلام بحضور اطراف العربية واسرائيل وبمشاركة الفلسطينيين. وحالة الانتعاف تلك من بيبة الحرب المتأججة الى اجواء السلام المرعوبة قد ساهمت في تخدير الجماهير العربية المحتقة الى حد كبير، رغم ما كان يعترى الموقف الاميركي من شكوك وما يشوبه من عدم التصديق. فمن لم يكن يصفق بان الولايات المتحدة جاعة في صنع السلام في المنطقة، كان قد وجد نفسه امام خيارين احلاهما من: إما اعطاء الولايات المتحدة فرصة، لعل وعسى تنظامي هناك بوالد للتعديل الحقيقي في الموقف الاميركي المنحاز لاسرائيل، او الوقوف في وجه التيار السياسي الدلي بعد ان وضعت حرب الخليج لوزارها. والولايات المتحدة من ناحيتها استمرت عبر العقد المنصرم برمته تعمل جاهدا لاعطاء الانطباع بواجبتها السلمية وتعمية عند العرب من خلال ما قامت بتربيته من اجتماعات ومؤتمرات ولقاءات وتحركات ومباريات واتفاقات. وفي كل ما قامت به في هذا الخصوص، هدفت الولايات المتحدة باستمرار لامتنعاص اكبر قدر من النعمة العربية المتصاعدة نتيجة لا تقوم باتخاذها من خطوات اخرى مترافقة.

واما الركيزة الثانية التي اعتمدها الاستراتيجية الاميركية على مدار العقد الماضي فهي تتمثل في القيام بخطوات تهدف من ورائها الى تهيش الفلسطينيين او خفض فاعليتهم. ولتحقيق ذلك، امتلكت الولايات المتحدة للمطلب الاسرائيلي بموجب المفاوضات الفلسطينية في وقد مشترك مع المعارض الاذني لفترة من الزمن، وباستبعاد من كان غير مقبول اسرائيليا عن حلبة التفاوض الاذني لفترة من الزمن، وايضا بتكرس فكرة وجود مسارات عربية اسرائيلية منفردة في العملية التفاوضية بهدف تجرزة الصف العربي الرسمي التسم بالضعف اصلا، ومن ثم بعزل الموقف الفلسطيني والاستفراد به بعيدا عن روح التضامن العربي، حتى الشكلي منه. ولذلك لم يكن مفاجئا ان يتم تحقيق انفراجات سريعة وتنازع ملموسة على المسار الاذني من المفاوضات متلا. ولم يكن مستغربا كذلك ان يكون حجم التناغمات التي تم التوصل اليها على المسار السوري، رغم كل العقبات الكاداء، لا يستهان به. وعليه ايضا، ما كان الا من قبيل التوقع بل المحقق بل تقوم الولايات المتحدة من خلال ادارات بوش وكلينتون، ولاحقا بوش، مرة اخرى بدعم الماطلة الاسرائيلية وعمليات التسوير المتتالية من اجل تعميق حالة اليأس والاحباط عند الفلسطينيين.

والركيزة الثالثة في الموقف الاميركي المنحاز لاسرائيل قبل وبعد اندلاع انتفاضة الأقصى تقوم على اساس تحميل الفلسطينيين انفسهم مسؤولية ما يحدث

إن الرهان على امكانية ان تلعب الولايات المتحدة الاميركية دور الدولة الراعية للعلية السياسية بين الفلسطينيين والاسرائيليين منذ انطلاقها قبل عقد من الزمن في مدريد لم يتعد كونه محض خيال او أمنية تتم مداعتها اثناء احلام اليقظة.

فالولايات المتحدة غير قادرة على ان تلعب دور الوسيط النزيه غير المنحاز لاسرائيل، ليس لانها لا ترغب في تقمص مثل ذلك الدور فحسب، وانما ايضا لانها لا تستطيع ان تجري بما لا تشتهي سفنها، حيث علاقتها مع اسرائيل كحليفها الاستراتيجي لا تؤهلها الا لتكون داعمه وبشكل منظم لمختلف السياسات والممارسات الاسرائيلية، خاصة ضد الفلسطينيين، حتى وإن بدأ تحفظ هنا وهناك ازاء هذه الخطورة أو تلك. فعند تشابك النسيج الاميركي الاسرائيلي سياسيا واقتصاديا ونفسيا وعسكريا يجعل من احتمال ان لا تلتزم الولايات المتحدة بالحفاظ على اسرائيل وحمايتها والدفاع عنها، سواء في اوقات الحرب او في اوقات السلم، امرا ناقضا للمصالح الاميركية الاسرائيلية المشتركة. وناقيا لروح التحالف الثنائي القائم بين كلا الطرفين، وحتى في تلك المناسبات التي امانت الاستراتيجية الاميركية فيها على صناعات القرار في واشنطن ان يبدوا تقاربا مع الفلسطينيين، فإن الاهداف المرجو تحقيقها لم تكن منسلخة عن الغاية القصوى المتغلطة في تدعيم اسرائيل وتقويتها وارفاقها بتقوية، نوعا وكما، على كل من محيطها. ولذلك، فإن الولايات المتحدة في جميع تحركاتها الدبلوماسية والعسكرية ظلت تركز على ضرورة صيانة المصالح الاسرائيلية بشكل اساسي متخذة اياها نقطة الانطلاق لاية خطوات اخرى قد تقوم بها.

وفي هذا السياق، فان استراتيجية الولايات المتحدة المنحازة لاسرائيل ضد الفلسطينيين في العقد المنصرم شكلت استمرارا لعلاقتها الفريدة مع اسرائيل. منذ انشائها على اربعة اقسام فلسطيين التاريخية واعتمدت مجموعة من الاسس والركائز التي عملت على السير في تطبيقها معا بشكل متكامل. ومن اهم هذه الاسس التي ارتكزت عليها الولايات المتحدة هو سعيها لإعطاء الانطباع للشعوب العربية عامة والشعب الفلسطيني خاصة، بعد خوضها حرب الخليج ضد العراق والعمل على تدميرها، بان السياسة الاميركية تهدف الى خلق حالة من السلم والاستقرار في المنطقة بشكل لا يعزل فيه الفلسطينيين كلية عن مجريات الامور كما كان عليه الحال في السابق. ومن اجل خلق ذلك الانطباع الذي هدف منه احتواء حالة النعمة العربية المتولدة نتيجة لقيادة الولايات المتحدة للتحالف الدولي ضد العراق، قامت ادارة بوش الابن بالمبادرة فوراً بعد انتهاء حرب الخليج الى